

المرأة غير موجودة

كريستيان ألبرتي

رئيسة المحادثة الدولية الافتراضية الكبيرة للاتحاد العالمي للتحليل النفسي WAP

بدأت الريح هبوبها. أصوات النساء تتعالى في كل مكان، لتكسر صمتاً قادمًا من البعيد، وتطالب بشكل شرعي برغبتها في المساواة والحرية. أصوات تندد بالعنف ضد النساء وبعدم العدالة على خلفية الجنس. يلعب التحليل النفسي دوره في هذه الحركة.

المنطق الفرويدي (φ-)

للنساء حضور في نشأة التحليل النفسي. من خلال الإصغاء لهنّ جعل فرويد صوتهن غير المسبوق مسموعاً، بما يتعلق بحياتهن الحبيبة وحياتهن الجنسية، وفي وقت كان يُنظر إليهن فيه، كمجرد مُنجات. غير أن فرويد كان يحمل بصمات عصره و "تقاليد ماضي طويل". بإمكاننا اليوم القول بأن المفهوم الفرويدي للأنوثة هو مفهوم مأسور بالفالوس. وبالفعل فقد اختار فرويد الفالوس، كرمز للخصاء، لكي يتعاوى مع الأنثوي feminine. تكون (وفقاً لذلك-م) الكينونة الأنثوية ممهورة على صعيد اللاوعي وعلى نحو غير قابل للشفاء بنقص متأثر من علامة السالب (ال minus sign). ان وجهة النظر هذه متجذرة في القوة الدامغة (ذاكرة طفلية) للمقارنة المخيالية بين جسدي الذكر والأنثى، والتي تولد إيماناً بغياب في الجانب الأنثوي وبخصاء الأم. وتبعاً لهذا الامتلاك يعتبر الرجل نفسه كاملاً، بينما يتسم الجنس الآخر بعدم اكتمال لا يمكن علاجه، مع ما يتضمنه من خيبة أمل ومطالب، وأطماع وخصومة أزلية ما بين الرجال والنساء.

هذا ما صدم العديد من النسويات: العثور في كتابات فرويد على أكثر المواضيع التي لا تطاق والتي تجعل من المرأة كينونة مسلوقة متسمة بشعور بالدونية.

هذا المنطق، الذي يتشكل من التوهم بأن الأوديب يبدأ لدى الفتاة من نسخته الذكورية، يقود إلى طريق متعرج باتجاه الأنوثة. لقد كان فرويد نفسه مدركاً لمحدودية هذا التوجه -فيما يخص النساء والرجال على حد سواء- حين واجه لغز الأنوثة، والذي لا يمكن حلّه بواسطة عقدة الخشاء. ومن هنا جاءت كلمات لاكان الحادة: "من أجل تقييم الجرأة الحقيقية لخطوته (فرويد-م)، علينا فقط أن نفكر في جزائه، الذي لم يتأخر في المجيء: الفشل المتعلق بالطابع متعدد الأوجه لعقدة الخشاء"¹. ألم يكن من الجدير قراءة رفض الأنوثة الشهير بشكل مختلف؟ ستكون هذه درب لاكان.

¹ لاكان، ج.، تخريب الموضوع وجدلية الرغبة في اللاوعي الفرويدي The Subversion of the Subject and Dialectic of Desire in the Freudian Unconscious، في كتاب Écrits، الطبعة الكاملة الأولى باللغة الإنجليزية، مترجم. مع ملاحظات بي فينك ونيويورك ولندن: دبليو دبليو. نورتون وشركاه، 2006، ص. 695.

احتجاب المبدأ الأنثوي " لا يمكننا الذهاب مع الأب بعد الآن"

لقد صاغ لاكان في البداية الأوديب الفرويداني، عبر الاختزال اللغوي للأسطورة بواسطة اسم الأب والاستعارة الأبوية. من خلال عملية الترميز هذه، يستبدل اسم الأب العامل المجهول (x) الخاص برغبة الأم ويعطيها معنى. وهكذا تتم قيادة الذات لعلاقة توافقية مع الرغبة من خلال الخضوع للقانون الرمزي. إن أثر الاستعارة يتمثل في دفع الذوات للتفكير والاستمتاع والتكاثر، وما إلى ذلك، ضمن معايير المثل المقبولة تقليدياً لجنسهم أو نوعهم.

في تلك الفترة من البنيوية، طرح ليفي سترافوس نظرية تُدرج وفقاً لها النساء كأغراض للتبادل بين سلالات ذات طابع ذكوري في جوهرها. ابتعد لاكان عن هذا المفهوم. فلم تكن لديه مشكلة في الإشارة إلى أن هناك شيئاً ما "غير مقبول" في موقع المرأة جراء "موقعها كغرض"²، على الرغم من أنها ومن جانب آخر تخضع تماماً – مثلها مثل الرجل-للنظام الرمزي. إنه يرى في ذلك " [...] الطابع الاشكالي [...] غير القابل للشفاء لموقعها – فالنظام الرمزي يقهر المرأة حرفياً، ويتعالى عليها"³. في نظام "جميع الرجال"⁴ هذا، الذي لم يتردد في وصفه بأنه برودونيان، أي محاولة لتحديد المرأة في مكان (كزوجة، كأم، كابنة، إلخ) هي محاولة محكومة بالفشل ولا تتوقف عن إثارة التمرد. يتعسر على جزء من الأنوثة، إيجاد مكان له في العالم – فمن المستحيل حقاً تعيين موقع له، وليس هذا الأمر جديداً!

لقد أخذ لاكان هذه الجزئية بالحسبان مبكراً في نظريته، إذ عارض التحليل النفسي الذي يضمن "السلام في البيت" والذي من شأنه أن يختزل المرأة إلى أم والرجل إلى طفل. كيف يمكننا قول ذلك بطريقة أفضل من أن لفوقية الأب القائمة في أساس حضارتنا هنالك جانب معاكس صاغه لاكان كـ "احتجاب للمبدأ الأنثوي في ظل المثال الذكوري"⁵.

مظاهر semblants

في مرحلة ثانية، قادت هذه الصياغة لاكان لاختزال الأب ليكون وظيفة بدلاً من اسم، مما يتيح تعددية في الركائز أو الدعامات: أسماء الأب. وفي الواقع فقد شخّص لاكان مسبقاً أقول الأب كـ القدرة من ثلاثينيات القرن العشرين. فليس هناك الأب (بأل التعريف) وإنما سرب من الدوال (دوال سيّدة master signifiers)، قادرٌ على تسمية أنماط التلذذ في حقبة معينة. هذا التعدد مسؤول عن طفرات معاصرة وعلى الأخص التنوع الكبير في الحياة الجنسية: كل واحد يبتكر طريقته في التلذذ [de jouir] والحب، من خلال المطالبة باسم للسيناريوهات التي تطيح بالأوديب كحلٍّ واحد ووحيد للرغبة.

² لاكان، ج.، ندوة جاك لاكان الكتاب الثاني، الأنا في نظرية فرويد وفي تقنية التحليل النفسي، مترجم. توماسيلي مع ملاحظات من جيه فورستر، نيويورك ولندن: دبليو دبليو. نورتون وشركاه، 1991، ص. 262.

³ المرجع نفسه

⁴ المرجع نفسه

⁵ لاكان، ج.، Les complexes familiaux dans la formation de l'individu. Essai d'analyse d'une fonction en psychologie، Paris، Seuil، 2001، ص. 84. غير منشورة باللغة الإنجليزية.

إن كل هذا البناء الأوديبي الرمزي، المؤسس على صور ودوال، ليس أكثر من وهمٍ ينكشف فيه طابع المظهر، الذي طوّر لكان قيمته واستخدامه. الفالوس⁶، كنموذج لقوة رمزية يُمررها الأب كمثال، هو أيضا ليس إلا مظهراً يستخدم كغطاء بالنسبة للرجال وللنساء على حد سواء، وفقا لذكورة أو لأنوثة الهيئة، للتعاطي مع الجنسي ومعالجته.

على هذا النحو، تكهن لكان بقدم حقة السيولة الجندرية والتي دفعت بعيدا بالثنائي رجل/امرأة. إن الرجال والنساء وذوي الأنماط الجندرية على اختلافهم، هم بالأصل كينونات تشكلت باللغة. تتحول الأبوة، وقرىبا جدا الأمومة والزواج أيضا، لتكون مجرداً أوهاام. ما من سبب يدعونا للإيمان المطلق بكل تلك "السخافات"⁷ الدالة، يقول ذلك لكان الفولتيري⁸ على نحو ساخر متطرقاً لبُعد اللغة الزائف والمصطنع – وفي الوقت الذي كان يقيم فيه الدليل على قابلية استخدام الدوال كمظاهر.

وليس ذلك فقط. فسوف يدفعه صوت النساء في التحليل إلى ترسيم مجمل النتائج المترتبة على بنوية وأشكال الرغبة. وقد اقتيد لكان للأخذ بعين الاعتبار عدم الانسجام بين المواقف الجنسية المحددة على صعيد الآخر الكبير والتي تطرح نفسها لانزلاقات دالة متنوعة من ناحية، ومن ناحية أخرى، فائض التلذذ *plus-de-jour* الخاص بكل واحد، والذي ينبع من جمود بالغ. بكلمات أخرى، ومن منظور الخطابات، هناك توتر ما بين الدال-السيد S_1 الجمعي والمثالي، وبين موضوع التلذذ a .

في أعقاب ذلك، سيتعدى لكان هذا التوتر بين S_1 و a ، مشتقات الفالوس، ليطرق درب التلذذ المكمل، والذي يتعارض مع المفهوم الجنسي .

الجنسانية

لقد عرض لكان مصطلح الـ *sexuation* للإشارة إلى العامل الذاتي في الاختيار، معتمداً على ما يدعوه بـ *الصيغ الجنسية*. توفر هذه الصيغ نقاطا مرجعية للشكل الذي من الممكن للشخص إيواء نفسه في الجنس، وبما يتجاوز التصنيف النمطي لرجل/ امرأة. على هذا النحو، في سيمناره *Encore* يصيغ لكان هذا الخيار من خلال التعابير "الجزء المدعو رجلا"⁹، "الجزء المدعو امرأة".

يتيح "الجزء المدعو رجلا" لأي ذات، إيواء نفسها في مملكة الخفاء، وذلك بمفهوم الحد الذي تضعه وظيفة اللغة. بالتالي، فإن نظام النقص يتموقع هنا عمليا في الجانب الذكوري! تجربة الجسد التي تناسبه، هي تجربة التلذذ المحصورة بالعضو القضبي، ممركة، وتُحسّ بأنها خارج الجسد. بذلك يحدّ هذا الجزء عالم

⁶ الفالوس صورة للقضيبي أو رمز له (المترجم للعربية)

⁷ ميلر ج.أ.، في لو بارليمينت دي مونبلييه، أيام دراسة UFORCA في 21 و 22 مايو 2011. غير منشورة.

⁸ نسبة لفولتير وهو الاسم الأدبي لفرنسوا ماري أرويه (1694-1778)، مؤلف وكاتب مقالات وفيلسوف فرنسي معروف بذكائه ودفاعه عن الحريات المدنية (م).

⁹ قارن لكان، ج.، *The Seminar of Jacques Lacan Book XX, Encore*، ترجمة B. Fink، نيويورك ولندن: W.W. Norton & Co.، 1998، ص. 80.

الجنسانية الذي فيه يحبّ الواحد الآخر ويرغبه بمساعدة الهوام: فليس بمقدور المرء أن يتلذذ من جسد ال- آخر إلا ذهنيا (\$ \diamond a) .

يُمنع "الجزء المدعو بالمرأة" أي مفهوم عام ويستجيب فقط لعلاقة غير متوقعة مع الفالوس. وهو غير مكبّل تماماً في البعد القضيبى، ذلك لأن لاكان افترض في جذر ال- "ليس الكل" هذا، وجود تلذذ نسويّ قائم بحد ذاته: تلذذ في الجسد من غير الممكن قوله، من دون شكل أو منطلق. وإذا قلنا: ذلك نسويّ "ليس بحد ذاته"، فذلك بمعنى أن الجنسانية النسوية هي التي تمنحنا الاستبصار الأفضل إليه: بمفاهيم المتخيّل: القارة المظلمة الفرويدية أو الشعور الأوقيانوسي؛ وبمفاهيم المنطق: اللامتناهي أو ال-ليس الكل. إنها بالفعل صورة التلذذ "مغلقة بما يجاور نفسها"¹⁰، التي أشارت -بدءً من الملاحظات الموجهة لمؤتمر الجنسانية الأنثوية- إلى العلاقة مع اللامتناهي. ان تأثيرات لا محدوديته موجودة بشكل خاص في التصوّف وفي أشكال هجر الذات self-abandonment، والتي تتعدى الإطار الذي يوقره الهوام.

ليس لهذا الجزء المدعو امرأة أيّ معيار مشترك مع المُثل لأنه غير مدوّن في نظام القيم، وانما في الأحادية unicity. إنه نمط تلذذ يجعل من كل امرأة استثناءً، وعليه فيما هي كذلك، لا يمكن تجميعها. لهذا السبب لا يوجد اسمٌ قادر على تشكيل مجموعة "كل النساء". يكتب لاكان نقص الاسم هذا على هذا النحو (A) S¹¹. كونه خارج اللغة، لا يتيح هذا التلذذ الرسوخ في أيّ تماهٍ؛ فالمرء لا يدرك نفسه فيه، لدرجة أن لاكان سوف يقول بأن هذا التلذذ يستثير الشعور بأنها (المرأة) أخرى لنفسها. إن ما يستجيب لهذا النقص في الآخر الكبير هو المطالبة بكلمة حبّ، كسبيل أوحد ممكن لإشغال المكان.

ان هذه المباني الدالة للجسد، تتيح رسم الأشكال المتميزة للحبّ والرغبة، سواء كانت فتشّية أو هوسية شبكية، وفقاً للمسار الذي تُغلّبه: مسار الموضوع أو مسار الحب كشرط للتلذذ.

إن الخطوة الحاسمة التي أخذها لاكان هي افتراضه أنه بينما تجابه النساء هذا التلذذ الفائض من دون أيّ وساطة، فليس بإمكانهنّ عملياً احتكاره. ذلك ينطبق على الرجال أيضاً. من الممكن تعميم ما يدعوه لاكان بمبدأ الأنوثة على الرجال وإضاءته كمبدأ تلذذ ثابت متجاوز للمفهوم الفالوسي: فهو يمنح التلذذ مكانته الأكثر عمقاً.

التطلع المعاصر للأنوثة

مع إعلانه بأن "المرأة غير موجودة"¹²، استبق لاكان مسألةً، لربما المسألة الأهم في العالم المعاصر: أجل، هناك نساء! وكيف! إنهنّ في كل مكان. لم يتعاف الرجال من ذلك، ولا النساء أيضاً. ان المقاومات الأكثر حدة، مصبوغة بألوان الهذيان والغضب من قبل الرجال والنساء على السواء، تتألف من التوق لتقليص هذا التطلع للأنوثة إلى نظام المركزية الذكورية androcentric. يرى جاك-ألان ميلر في هذا التطلع، أحد أعمق الظواهر في حضارتنا: "بالإمكان فهم التصدّعات الكبيرة التي نشهدها ما بين النظام القديم والجديد، وعلى الأقل

¹⁰ لاكان، ج. ، *Guiding Remarks for a Convention on Female Sexuality, in Écrits*، ص. 619.

¹¹ الدال على نقص في الآخر الكبير (م) <https://www.scielo.br/j/agora/a/jhBJjskgCG98NZGWLpZPctt/?lang=en&format=pdf>

¹² "La femme n'exister pas" [المرأة غير موجودة]: لاكان ج. ، *W.W. Norton & Co. :New York & London, Television [...]*

جزئياً، كتقهقر للنظام الذكوري أمام الاحتجاج الأنثوي.¹³ لا يتبع الأنثوي، الذي يبرز ج. أ. ميلر أهميته المتعاطمة، نظاماً لسيدٍ جديدٍ، لأنه وفي صميمه كما رأينا، يفلت من أي سيادة وأي معرفة.

في توقه لـ "دفع الفالوس جانبا"، ألم يتخطَ لكان، بمفهوم معين، نسويات اليوم الجديدات، اللواتي يردن تحرير أنفسهن من المفهوم الجنسي، كما هو مقبول عموماً في الآخر الكبير؟ ما عبر التحولات المتعددة التي خاضتها النسوية الجديدة منذ سبعينات القرن العشرين، متأرجحة ما بين النسوية السياسية (المعروفة كنهج سيطرة) ونسوية الأجساد ("المناصرة للجنس")، ألحّ الأنثوي بإصرارٍ دوماً. يتجلّى الأمر في أيامنا كقضية أساسية تتجاوز جدا نظريات الجندر أو النوع. من خلال توقها لـ "إلغاء التصنيف بحسب النوع"، أنكرت تلك النظريات الدال: امرأة.

في لبّ هذه الحركة، اصطدمت المحاولات الأخيرة الساعية لإجراء إصلاح في اللغة بأداء الكلام واللغة. أليس هذا الجهد عبثياً؟ اذ انه من غير الممكن أن نتحدث خارج النوع وخارج الجسد، من دون أن نُردّ إلى الصمت؟ إن سبيل الحرف، الخارج عن المفهوم، الذي ناصره لكان، يبدو أكثر خصوبة، وهو ما يفتتح منظوراً جديداً حول التأنيث.

بينما تجري ملاحظة لاهثة خلف المظاهر المشبوهة دوماً كمن تم تصميمها من قبل الآخر (الكبير)، هنالك تيار آخر في النسوية الحديثة يُحدث جلبة كبيرة. بحثاً عن تناسق أنطولوجي أكبر للأنوثة، ومن خلال محاولة للسيطرة على التلذذ، يُعين هذا التيار موقعَ المعركة السياسية في ساحة الجسد الأنثوي نفسه. وهو يدعو بشكل خاص إلى السُّحاق السياسي، من أجل تحرير نفسه بشكل أفضل من سلطة الذكور. أليست الأخوية الزائفة للأجساد، الناجمة عن ذلك، نتاجاً وهمياً مُستندا في نهاية الامر، على المتخيّل الخاص بالأجساد؟

لقد سلك لكان طريقاً مختلفاً عن طريق هذا الخطاب. وجد هذا الطريق، الانقلابيّ بشكل جذري على التقاليد، مصدره في كلام المحلّلين والمحلّلين.

لا يتركنا تعريف الأنوثة بسلام. إن الكينونة التي يمنحنا اياها الكلام غير متسّقة ومُراوغة، وهذا ما يدفعنا نحو الشغف للكلمة الصحيحة، التي من شأنها التعبير في نهاية المطاف، عن كينونة أنثوية أصيلة. أليس هذا ما قد يدفع المرأة إلى البحث في التحليل عن أرضية أقل خداعاً؟ أو كما يقول لكان عن النساء: "من الممكن قول كل شيء، حتى لو كان نابعاً من غير منطق"¹⁴. في هذا الطريق، يقودنا التحليل، إلى ما عبر الأضاليل التي يخصّصها لنا الآخر الكبير، إلى اللقاء مع مصادفة الدوال التي هيمنت على حياتنا.

ما عبر السدّادة الهواميّة التي تعوّضنا عن نقصنا الأنطولوجي، يُخرج التحليل للضوء التجربة التي يسمّيها لكان، الجنس فيما هو عليه، والتي تتأسس على منطق "ليس الكل". انها مجهزة بشبكة أساسية أكثر من تلك الخاصة بالهوام، وأكثر ثباتاً من تلك الخاصة بقيم النوع gender، وأقوى من أي شيء آخر، هناك حيث نكون موجودين حقاً، وبشكل فريد. انها طريق العرض التي، وبهذا المعنى، تؤنثنا.

¹³ ميلر. ج. أ.، *Progrès en psychanalyse assez lents* [Progress in psychoanalysis [is] rather slow] التقدم في التحليل النفسي

بطيء، *La Cause freudienne*، عدد رقم 78، 2011، ص. 197. غير منشورة باللغة الإنجليزية.

¹⁴ لكان ج.، *L'étourdit*، in *Autres écrits*، ص. 466.

لا تعني حقيقة وجود نساءٍ وليس المرأة (بأل التعريف)، بأن وجودهنّ يسبق جوهرهنّ، انما أنه "يذهب الى ما عبر جوهر الأنوثة"¹⁵، وفقاً لصياغة ميلر. ماذا يمكننا أن نتعلم حول ذلك من التجربة التحليلية؟ ما الذي يمكننا استخلاصه من المبدأ الأنثوي لطرق العلاج الراهنة، الخاصة بالنساء وبالرجال سواءً بسواء؟ سنستفيد من إعطاء معادلات لاكان المتعلقة بأشكال الرغبة الذكورية $\Phi(a)$ أو الأنثوية $\mathcal{A}(\varphi)$ ، قيمتها الحالية. هذا ما يمكن توقعه من المحادثة الافتراضية الدولية الكبيرة للـ WAP، التي ستجرؤ على المخاطرة بكل شيء لأن ... المرأة غير موجودة!

ترجمة: وردة حاج نصر الله وفداء عليان و خليل سبيت

مراجعة وتحرير: خليل سبيت

¹⁵ ميلر. ج.أ.، *Liminaire, In Ornicar?*، عدد 22-23، صيف 1981، ص. 1. غير منشور باللغة الإنجليزية.